قد قصدتك بمسئلة اخترتك لها فقلت سل عافاك الله فظننته
يسال عن حادث قد نزل به فقال أخبرني عن نجم ابليس ونجم
ادم ما هو فان هذين لعظم شانهما لا يسال عنهما الا علما الدين
فعجبت وعجب من في مجلسي من سواله وبادر اليه قوم بالانكار
والاستخفاف فكففتهم وقلت هذا لا يقنع مع ما يظهر من حاله
الا بجواب مثله فاقبلت عليه وقلت يا هذا ان المنجمين يزعمون ان
نجوم الناس لا تعرف الا بمعرفة مواليدهم فان ظفرت بمن يعرف ذلك
فاساله فقال لي جزاك الله خيرا ثم انصرف مسرورا فلما كان
بعد ايام عاد فقال ما وجدت الى وقتي هذا من يعرف مولد هذين
فانظر الى هولا كيف أبان الكلام عن جهلهم واعرب السوال
عن نقصهم اذ لم يكن لهم داع اليه ولا روية فيما تكلموا به ولو
صدر عن روية ودعا اليه داع لسلموا من شينه وبرئوا من
عيبه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لسان العاقل من وراء قلبه
فاذا اراد الكلام رجع الى قلبه فان كان له تكلم وان كان
عليه امسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له
وقال عمر بن عبد العزيز من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه
وقال بعض الحكما عقل المرء مخبوء تحت لسانه وقال بعض البلغا
احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك او يتلف نفسك فلا شيء أولى
بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب ويسرع الى الجواب
وقال ابو تمام الطائي

وما كا

١٢٠

ومما كانت الحكما قالت . لسان المرء من تبع الفؤاد
وكان بعض البلغا يحسم الرخصة في الكلام ويقول اذا
جالست الجهال فأنصت لهم واذا جالست العلما فأنصت لهم فان
في انصاتك للجهال زيادة في الحلم وفي انصاتك للعلما زيادة في العلم
واما الشرط الثاني وهو ان ياتي بالكلام في موضعه
فلان الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به وما لا ينفع من الكلام
فقد تقدم القول فيه بانه هذيان وهجر فان قدم ما يقتضي
التاخير كان عجلة وخرقا وان اخر ما يقتضي التقديم كان توانيا
وعجزا لان لكل مقام قولا وفي كل زمان عملا وقد قال الشاعر
تضع الحديث على مواضعه . وكلامها من بعده نزر
واما الشرط الثالث وهو ان يقتصر منه على قدر حاجته
لان الكلام اذا لم ينحصر بالحاجة ولم يتقدر بالكفاية لم يكن
لحده غاية ولا لقدره نهاية وما لم يكن من الكلام محصورا كان اما
حصرا ان قصر او هذرا ان كثر وروي ان اعرابيا تكلم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم واطال فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم دون
لسانك من حجاب فقال شفتاي واسناني قال فان الله تعالى يكره
الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه امرئ أوجز في كلامه واختصر
على حاجته وحكي ان بعض الحكما راى رجلا يكثر الكلام
ويقل السكوت فقال ان الله تعالى خلق لك أذنين ولسانا واحدا
ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به وقال بعض الحكما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)